خطبة صلاة الجمعة 3/ 5/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]، فلم يرض لكم ربكم إلا أن تكونوا من وراء الأنبياء لأنه يليق بكم أن تكونوا وراءهم.

وقال ربنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، فجعل كمالنا في الاقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

سبق في الخطبة الماضية (بهداهم اقتده) أن من عَمِل عَمَل الأنبياء أوصله إلى كمال ورفعة، وأن من أراد التأسي بهم والاقتداء بسيرهم فعليه باللحاق بمجالس العلم وبالإكثار من ذكر الله تعالى.

ولأننا مقبلون على شهر رمضان المبارك فإني سأحدثكم في هذه الخطبة عن هديه صلى الله عليه وسلم في رمضان؛ لأن سَيره صلى الله عليه وسلم أفضلُ السير وهديَه أكملُ الهدي، إذ الكمال البشري صيغ في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مَن لي بمِثلِ سَيرِهِ المدَلّلِ يمشي رويداً ويجيْ في الأولِ

عنوان خطبة اليوم: هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان

أيها الإخوة:

فُرِضَ صيام رمضان على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات، وفُرِض أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، ثم نُقِلَ من ذلك التخيير إلى تحتم الصوم، وجُعِل الإطعام للشيخ الكبير والمرأةِ إذا لم يطيقا الصيام فإنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا، وما هذا التدرج إلا ليعلمنا الله تعالى التدرج في تطبيق ما نسعى له من تغيير وإصلاح.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا كانت آخرُ ليلة من شعبان خطب الناس فقال: «**أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلَق فيه أبواب الجحيم، وتُغَّلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم**» كذا أخرجه الشيخان والنسائي واللفظ للنسائي، وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا كانت أول ليلة من رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار فلم يُفتَح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلَق منها باب، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة**».

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان الإكثارُ من العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريح المرسلة، وكان أجودَ الناس وأجودُ ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف.

فرمضان زمن مناسب ليعود الآبق، ويتوب العاصي، ويجتهد المقصر، ويقترب البعيد، ويتصل المنقطع، ويذكر الناسي، وكم ممن شردوا أيها الإخوة كان عودهم إلى الله تعالى في رمضان، وكم ممن غفلوا كان اصطلاحهم مع الله في رمضان.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيرَه من الشهور، فيقوم ليل رمضان ويقول: «**من قام رمضان إيمانا واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه**» [البخاري]، فكان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ركعات فلا تسل عن طولهن وحسنهن.

وكان صلى الله عليه وسلم يواصل في رمضان أحياناً ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال فيقولون له: إنك تواصل فيقول: «**لست كهيئتكم إني أبيت –وفي رواية: إني أظل– عند ربي يطعمي ويسقيني**» [البخاري].

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر وصام مرة بشهادة أعرابي واعتمد على خبرهما، فإن لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يوما، وقال صلى الله علي وسلم: «**لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة**» [البخاري].

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يعجل الفطر ويحضَّ عليه، ويتسحر ويحثَّ على السحور ويؤخرَه ويُرغِّبَ في تأخيره.

وكان صلى الله عليه وسلم يحض على الفطر بالتمر فإن لم يجد فعلى الماء.

وكان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي، وكان فطره على رُطَبَات إن وجدها، فإن لم يجدها فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى حسوات من ماء، ويُذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول عند فطره: «**اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت**» ذكره أبو داود مرسلا، وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أفطر: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثَبَتَ الأجر إن شاء الله تعالى**».

ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**» [ابن ماجه].

وكم ادخر الصالحون أدعية لرمضان، وكم جهزوا لفطرهم دعاء كما يجهز غيرهم غذاءَ.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم الصائم عن الرفث وهو الفاحش من الكلام والصخب وهو الضَّجَّة واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام، والسِّباب وجواب السِّباب فأمر الصائم أن يقول لمن سابّه: إني صائم، قيل: يقوله بلسانه وهو أظهر، وقيل: بقلبه تذكيرا لنفسه بالصوم.

ونهى صلى لله عليه وسلم الصائم عن قول الباطل وعمله وقال: فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

قال الشراح: قول الزور كل قول باطل وذلك يشمل الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور وكلَّ قول محرم، والعمل به هو العمل بالفواحش والمنكرات، وقوله فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه معناه التحذير من هذه الأقوال والأفعال وأن جميع المعاصي تؤثر على الصيام فتنقص ثوابه.

وسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام وأفطر وخيَّر الصحابة بين الأمرين.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم، وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم إسقاطُ القضاء عمن أكل وشرب ناسياً وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: **«مَن نَسِيَ وهو صائم، فأكلَ أو شربَ، فليُتمَّ صومه، فإنما أطعَمهُ الله وسقاه»**.

والذي صح عنه صلى الله عليه وسلم: أن الذي يفطر به الصائم: الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء.

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستاك وهو صائم، وذكر الإمام أحمد عنه أنه كان يصب الماء على رأسه وهو صائم، وكان يتمضمض ويستنشق وهو صائم، ومنع الصائم من المبالغة في الاستنشاق، وصح أنه احتجم وهو صائم وقد رواه البخاري في صحيحه. وصح عنه قوله: **«من فطَّر صائما كان له مثلُ أجره، غيرَ أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»** [الترمذي].

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله، وكان يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة فقضاه في شوال.

واعتكف مرة في العشر الأول ثم الأوسط ثم العشر الأخير يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل، وكان يقول: **«تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»** [البخاري]، وفي رواية: **«في الوتر من العشر الاواخر»** [البخاري]، وفي حديث **«فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»** [البخاري].

وقال صلى الله عليه وسلم: **«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه»** [البخاري].

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد، وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان في العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعارضه جبريل بالقرآن كل سنة مرة، فلما كان ذلك العام عارضه به.

وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله معتكفه وحده، يخلو فيه بربه عز وجل.

خلوت إليك يا ربّي ** وقلت عساك تقبلني

فما بالي أرى ذنبي ** وأيامي تطاردني

مددت يدي فخذ بيدي ** إليك ومنك يارباه

ومن طول النوى أواه

حيائي منك يبعدني ** وداعي الشوق يدعوني

ووجه الصفح يخجلني ** ويقتلني ويحيني

وأيامي تقاضيني ** على ما تاه يا أسفاه

ومن طول النوى أواه

على عيني بكت عيني ** على روحي جنت روحي

هواك وبعد ما بيني ** وبينك سر تبريحي

على عيني على روحي ** فوا غوثاه يا غوثاه

ومن طول النوى أواه

أيها الإخوة:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيُشفَّعان» [مسند أحمد].

فتعالوا نري الله تعالى من أنفسنا خيراً، فإننا نستقبل شهراً كريماً وأياماً فاضلات ولياليَ مباركات.

اللهم أدبنا بآداب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وخلقنا بأخلاقه وأكرمنا بصدق التأسي به في الأقوال والأفعال.

والحمد لله رب العالمين